# المفارقة البلاغية في شعر مظفر النواب

أ.م.د. رحاب لفته حمود الدهلكي

كلية التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية

# The rhetorical paradox in the poetry of Muzaffar al-Nawab

Ass. Prof. Dr. Rehab Hamza Aldalkhi

College of Basic Education\ University of Mustansiriya

**ABSTRACT**

The rhetorical paradox in the poetry of Muzaffar al- Nawab

Paradoxically, a methodological phenomenon is related to the production of meaning and its multiplication through contradiction, con traction and dis place mint, a tool of poetic style that works to develop the forces of semantic coherence of text. This study examines the poetic text of the Iraqi poet Muzaffar al- Nawab through the element or rhetorical paradox. The research has produced many. results , all of Which in dictate that the paradoxical meta- technique it is prophesied by poetry and employs it and the rhetorical paradox in the poetry Mu Zaffar al- Nawab. the de putties cam be embarrassed from poetry to prose to retain dis tin active qualities, our poet writes ironic paradox based on clarity of am big unity and am big unity walking through the course of poetry is signify cant in the World of contemporary Arab poetry.

**Keywords:** paradox, eloquence, poetry, Muzaffar al-Nawab.

**الملخص**

إن المفارقة ظاهرة اسلوبية لها علاقة بإنتاج المعنى وتكثيره عبر التضاد والتناقض والانزياح، وهي أداة من أدوات الاسلوب الشعري تعمل على تنمية قوى التماسك الدلالي للنص، وتبحث هذه الدراسة في النص الشعري للشاعر العراقي (مظفر النواب) من خلال عنصر (المفارقة البلاغية)، إذ اعتمدت الدراسة على التحليل والتجزئ والفحص والاستقراء ومن ثم صياغة الانتاج، وقد خرج البحث بنتائج عديدة تصب جميعها في ان المفارقة تقنية ميتالغوية يتبناها الشعر ويوظفها وإن المفارقة البلاغية في شعر مظفر النواب يمكن إخراجها من الشعر إلى النثر لتبقى محتفظة بسماتها المميزة، فشاعرنا يكتب المفارقة الساخرة القائمة على الوضوح الذي لا غموض فيه ولا التواء سالكاً من خلال ذلك مسلكاً شعرياً له دلالته في عالم الشعر العربي المعاصر.

**الكلمات المفتاحية:** مفارقة، بلاغة، شعر، مظفر النواب.

**المقدمـــــة**

شغلت المفارقة حيزاً لا يستهان به عند تناول البلاغة العربية لمفردات البيان، حيث تمثلت بمستويين اتسم أحدهما بالوضوح والسطحية والآخر بالغموض والإبهام، هدفها نقل المتلقي من مضمار الاستقبال المطمئن الهادئ الى المستقبل الحذر المريب، واستطاعت ان تغدوا أداة فعالة ووسيلة ناجحة لاختراق جدار السطحية في النص.

وتعد الوسائل البيانية في شعر مظفر النواب التي تمثلت بحيوية واضحة وهي ترسم تلك الصور المعتمدة على المفارقة البلاغية، وعلى التضاد اللذين يزيدان في توليد الطاقة الشعرية التي اشتملت أساليبها على (التشبيه والاستعارة والكناية)، فأتاحت للمتلقي الكشف عن الجانب الناقد والساخر من وعي الشاعر كان له أثر واضح في شخصيته، وما ذاك الا لطاقتهما التعبيرية التي تنتج من انفتاحها على معانٍ عدة يشترك فيها المبدع والمتلقي[1]، إلا إن المتلقي الوحيد المالك لجواز العبور الى اعماقها انطلاقاً من بنائها السطحي عبر تفاعل حواري متناغم؛ أي إنه البطل الحقيقي في عملية البحث الجمالي عن موقع المفارقة وشعريتها وإعادة انتاجها وبث الدلالات[2].

1- ينظر: المفارقة وصفاتها (موسوعة المصطلح النقدي)، دبي ميونك، تر: عبد الواحد لؤلؤة، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د. ط. ت): 37.

2- شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي، نعيمة سعدي، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ع1، 2007م: 12.

ولا بد من أن ننظر الى المفارقة بوصفها جزءً من النشاط العقلي، إي إنها نابعة من ذهنية تستطيع ان تربط بين المتناقضات و" جميع الآثار المتباينة للعناصر الشكلية في هيئة استجابة موحدة"[1].

لذا عدت المفارقة عند (د. سيزا قاسم): "لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيداً"[2].

وهناك من يرى إن المفارقة هي "تسجيل التناقض بين ظاهرتين لإثارة تعجب القارئ دون تفسير أو تعليل"[3].

ويتضح لنا ان براعة الشاعر في اختيار المادة اللغوية، يتمكن في إخراجها في شكل الصورة البيانية التي يطلق عليها المفارقة، وهذا يجعل المفارقة تتضيداً بيانياً يجتهد الذهن في تحصيله، إذ يعتمد الى اختيار دقيق للمفردات اللغوية، فنجد فيها دلالات عدة يذهب إليها مظفر النواب، كنوع من التلاعب بين الصفات المتضادة في الشيء الواحد لتشكل مفارقة بلاغية انفرد بها شاعرنا في رسمها فتمثلت بـ:

**أولاً: التشبيه:**

"إن التشبيه مبتدع من طرفين مشبها ومشبها به واشتركا فيما بينهما في وجه وافترقا في آخر مثل طرفين يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس"[4].

يمثل التشبيه أبسط أنواع التصوير البلاغي، يدل على ذلك كثرة استعماله قديماً وحديثاً، وهو نمط من التصوير الذي يعتمد على طرفين؛ الا إنه لا يستطيع ان يصل بينها الى درجة التوحد، بل تبقى العلاقة قائمة على أساس التمايز والتفرد لكل منهما، وهو بهذا " لا يخلو من الاتحاد والتفاعل"[5].

أما بعض الدارسين فيرى في التشبيه حلاً لبعض المتناقضات، لأن المشبه ليس هو المشبه به ومع ذلك فأن به شيئاً ما يذكرنا به، ولهذا السبب فأن " التشبيه يطرح بعينه بصفته وسيطاً للتناقض و(منجياً) له في الوقت نفسه[6].

وهذه العقدة هي التي تشكل أساس الصورة الفنية بين المشبه والمشبه به، إذ تخلق بينهما حالة يطلق عليهما المتعايشة التي تنمو لتصبح كياناً حياً مما يقترب بها من معنى المفارقة التي هي تناقضات متعايشة[7].

وكلما كان التشبيه طريفاً وبعيد المرمى كان أكثر بلاغة اذا لم يطلب به الإيضاح[8].

لذلك نرى ان الشاعر مظفر النواب كثيراً ما يلجأ الى التشبيه بصفة أحد العناصر الرئيسية في بناءه التصويري.

ومن تشبيهات مظفر النواب التي شكلت المفارقة بنية الرئيسية قصيدة (الأساطيل) يقول فيها:[9]

**فأمي هي النخلة الحالمة**

**وأمي هي الأنهر الحالمة**

**وأمي التي علمتني على الصبر**

**أئنذ علمتني على الطلقة الحاسمة**

يستخدم الشاعر صورة (الأم) لكونها بؤرة التوتر المركزية التي تتكشف فيها احساسات الشاعر فيشبها بصورة بلاغية قائمة على التشبيه البليغ بقوله:

1- مبادئ النقد الأدبي، آ.ي، ريتشاردز، تح: ابراهيم الشهابي، منشورات وزارة الثقافة، ط1، 2002: 315

2- المفارقة في القص العربي المعاصر (بحث)، د. سيزا قاسم، مجلة فصلول، ع: 68، 1982: 144.

3- ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، عبد العزيز الاهواني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1986: 109.

4- مفتاح العلوم، ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر السكاكي (ت:626هـ)، تح: اكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، بغداد، 1982م: 58.

5- الصورة المجازية في شعر المتنبي، خليل رشيد فالح، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1985م: 45.

6- نظرية الأدب في القرن العشرين، تأليف: مجموعة مؤلفين، تح: محمد العمري، افريقيا الشرق، ط1، 1996: 156.

7- (م. ن): 157.

8- ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، ط1، 1999: 176-177.

9- الاعمال الشعرية الكاملة، مظفر النواب، دار قنبر، ط1، 1996م: 19-20.

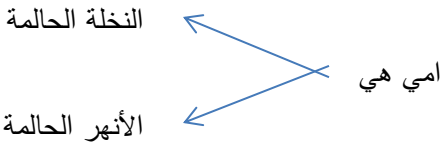


ويدعم هذه الدلالة بـ (الفعل الماضي) بقوله:- (علمتني)، وتكراره مرتين لتأكيد القيمة المعنوية والرمزية بما تمثله، الأم من رمز للأمان والاستقرار والحماية، ثم تأتي النتيجة بقوله:- (أئنذ) في حركة حادة خلقت مسافة التوتر تمثلت بـ (الطلقة الحاسمة)، فتصبح ثنائية الحضور والغياب رمزاً للوضع الذي يمثله الشاعر وهنا تكمن المفارقة التي شكلت بانحراف الرمز عن دلالته المعروفة.

ومن التشبيهات النادرة التي تثير المتلقي وتحفز ذهنه (القدس عروس عروبتكم) حيث يقول[1]:

**في القلعة بئر موحشة كقبور ركبن على بعض**

**آخر قبر يفضي بالسر الى سجن**

**السجن به قفص تلتف عليه أغاريد ميتة**

**ويضم بقية عصفور مات قبيل ثلاث قرون**

**ج**

**تلكم روحي**

**منذ قرون دفنت روحي**

**منذ قرون وئدت روحي**

**منذ قرون كان بكائي**

**تلكم روحي وبكائي**

تشكلت الصورة التشبيهية في النص عبر العلاقة الطردية بين العراق والمنفى، ووفقاً لهذه العلاقة فأن الابتعاد عن العراق يولد اتساع في المنفى، ومما زاد من شعرية التشبيه فكرة التوحد بين الانسان والوطن المتمثل بقوله (روحي)، فحدث نوع من التراسل بين الانسان والمكان، فيصعب الفصل بينهما، ولكن صوت الانا هنا ليست فردية، فصوت الطاغوت يسري في كل مكان تمثل بنسق السقوط والايحاء بوضع الانكسار بقوله (القبور)، لتدل على البطش والعنف والقتل، وهنا تظهر قيمة جديدة للتشبيه حيث جمع الشاعر بين اشياء متناظرة أو متضادة ليشكل من خلالها المفارقة[2].

ومن التشبيهات التي تثير المتلقي وتحفز ذهنه قصيدة (قراءة في دفتر العطر)، إذ يقول[3]:

**نسيت...**

**نسيت...**

**وأيقظني..**

**ريح الشباك على وطني**

**يا وطني وكأنك غربة**

**وكأنك تبحث في قلبي عن وطن انت**

**ليؤويك**

**نحن الاثنان بلا وطن... يا وطني**

1- المصدر نفسه: 242.
2- المفارقة في شعر الرواد، قيس حمزة الخفاجي، دار الارقم، 2007: 288.
3- الاعمال الشعرية الكاملة: 163.

تتجلى قيمة المفارقة للصورة التشبيهية في انصهار طرفي التشبيه انصهاراً ننسى فيه المشبه، فتتعانق الاضداد، وتتداخل الصور خلف مفارقة صارمة صارخة، فغربة الشاعر هي غربة متأصلة في بلاده، لكن الغربة هنا تأخذ بعداً أقوى تمثلت في تغيير نسق التركيب مما يثير المتلقي ويدعوه للبحث عن القيمة البلاغية وراء هذا التحول[1].

وتعددت مجاميع من الصور التي تحمل اللغة الممتلئة بالمشاعر والأحاسيس، فكان بعضها وليد اللحظة أو رهني موقف، فجأت مفارقة لمشاعر الشاعر وشاعريته، ومن هذه الصور، قوله في قصيدة (البقاع) حيث يقول[2]:

**لم يعد في المحطة الا الفوانيس خافتة**

**وخريف بعيد... بعيد**

**وتترك حزنك بين المقاعد ترجوه يسرق**

**تعطي لوجهك صمتا كعود ثقاب ندي**

**بإحدى الحدائق**

**ان فرشت وردة عينها يشتعل**

**وتجاوز خط الحديد ج**

**كأنك كل الذين أرادوا الصعود ولم يستطيعوا ج**

**أو انتظروا**

**أو كهاو اكتظ دفتره بالدموع**

**دموعك صمت**

**ثيابك بدعة صمت مقلمة بالبنفسج**

**لم يبق زر بها**

**وحقيبة حزنك قد ضيعت قفلها**

**لم تزر قميصك... بنطالك الرخو**

**لم يبق شيء يزرر**

ما إن نتفحص القصيدة حين يطالعنا سيل من التشبيهات المتوزعة على النص عبر المؤثرات الاجتماعية من خلال تجسيده للواقع وترميزه لصورة الوطن، فيحدث نوع من التراسل بين الانسان والمكان حتى يفصل الفعل بينهما فبالرغم من ان المعنى معنى مجرد، إلا إن تخيلية يثير في النفس الخوف والرهبة، فنجد الزمن ثقيلاً محملاً بالآهات والالام ولعل تراكم هذه الصور التشبيهية التي تمثلت بقوله:

**تعطي لوجهك صمتاً كعود ثقاب نوي**

**كأنك كل الذين أرادوا الصعود ولم يستطيعوا**

**أوكها واكتظ دفتره بالدموع**

في إيحاء بوضع الانكسار والهزيمة، فجمعت الصورة الحسية بالأمرين لتكون منهما طرفي المعادلة التي شكلت على التضاد والمفارقة، وما تكرار الشاعر للفظة (الصمت)، الا ليرمز بها عن الآخران التي تخيم على حياة ذلك الوطن، الا إن توظيفه للنفي المتكرر جاء ليشكل سخريته للواقع، إذ تمثلت عن طريق المفارقة فلغالب إنه يسقى من خلال إيراده العديد من المنفيات التي اتضحت في قوله (لم يعد ولم يبق ولم تزر ولم يبق) ليشكل من خلالها لغة للواقع الراهن الذي افتقده، ومن ثم صار الحال الذي هو عليه،

1- ينظر: البنية التكوينية للصورة الفنية، درس تطبيقي في ضوء على الاسلوب، د. محمد الدسوقي، كفر الشيخ، العلم والايمان للنشر والتوزيع، ط1، 2008م: 163.

2- الاعمال الشعرية الكاملة: 22.

والملاحظ ان هذا التكرار المكثف لأداة النفي قد أخذ نمطاً تم فيه تحويل الشعرية من منطقة السلب إلى دفقات متتابعة لتحديد معنى ما يسبقها وتأكيد معنى ما يتبعها[1]، وهنا تكمن شعرية النص بما شكلته في طياتها من انزياحاً كبيراً خلال عوامل الإدهاش والتكثيف، فتمثل في خلخلة الصورة التقليدية "فشكلت صورة مفارقة عبر تلك لفنية التي تعبر عن الشيء ونقيضه في آن واحد"[2].

اذن شكلت علاقات المشابهة القائمة على المفارقة في شعر مظفر النواب اجراءً بنائياً يدخل في نسيج النص ليمثل نواة المعنى وجوهره بدليل تعلق الصورة بالأخرى وبناتها عليها، فتكسب الأشياء البسيطة المتداولة في شعره قيمتها بتفصيلاتها، وبما تقتضي الذات عليها من حضور في قضاياها، فقامت هذه الاشياء على بساطتها بدور مهم وفعال في حمل قضية الشاعر.

**ثانياً:- الاستعارة**

يرى عبد القاهر الجرجاني، بأن الاستعارة تتمثل في "إن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على إنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ينقله إليه نقلاً"[3].

إذن ذلك يعني إن الاستعارة تبرز في دلالة لفظة ضمن تركيب غريب عنها، الأمر الذي يشكل تصادماً بين دلالتها القديمة والدلالة التي تحملها، بيد إن عبد القاهر الجرجاني ذهب في دلائل الاعجاز الى ان الاستعارة "ادعاء معنى الاسم للشيء"[4].

وهذا يجعل من اللفظ المستعار محتفظاً بدلالته الأصلية غير منفصلاً عنها ؛ ولكن ما يحصل إننا في "الاستعارة تعايش تلاقياً بين سياقين ودلالتين، فالكلمة المستعارة من محيط بعيد عما يجري في السياق الأساسي لا تنفصل دلالتها وتتحول، بل هي تعمل ظلال السياق القديم وتكتسب من هذا الإطار الدلالي الجديد، فتغدو كلمة جديدة"[5].

وبهذا تكون "وسيلة شبه خفية"[6]. تتشكل بعمليات فكرية ونفسية يمكنها: تقبل المفارقة في المحل الواحد"[7].

وهذا يجعل من الاستعارة الشعرية أداة لخلق عالم جمالي يمكن خلاله اكتشاف الحقيقة، واستشارة الخيال وذلك من خلال " مجاوزة المدرك المنطقي واللغوي، وتشكل قالب فكري طارئ يتحمل هذه النواتج المتناضرة"[8].

ومنهم من يرى بأنها: " عبارة عن صورة بلاغية تقوم على الجمع بين شيئين لا تجمعها علاقة"[9].

ويرى كمال ابو ديب ان المفارقة في العملية الاستعارية تحصل من خلال "خلق فجوة حادة بين مستويين للتعبير الفني: مستوى المرسل، ومستوى نظام الترميز أو الوسيلة"[10].

وهذا ما جعل الصورة تجسد فجوة مسافة التوتر الحادة بين المحتوى والرموز.

أما الاستعارة في نص مظفر النواب – تقوم في جزء كبير منها – على المفارقة، ذلك ان "تباعد المجالات أو اختلافها بين المستعار والمستعار له"[11]، يخلق تناقضاً ظاهراً يعبر " عن الحالات النفسية والأحاسيس الغامضة التي تتعانق فيها المشاعر المتضادة وتتفاعل[12]، كما أنه يسعى من خلال المفارقة الاستعارية التي تقدم التجربة الشعرية و"إعادة خلق مثالي لها"[13].

---

1- ينظر: اوهاج الحداثة: 208.
2- نفسه: 210.
3- اسرار البلاغة، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت:471هـ)، علق حواشيه محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط1، 2002م: 29.
4- دلائل الاعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت:471هـ)، تعيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1992م: 437.
5- جماليات الاسلوب، الصورة الفنية في الادب العربي، فايز الداية، دار الفكر المعاصر، ط3، 2012م: 120.
6- مبادئ النقد الأدبي: 310.
7- البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة العالمية للنشر، ط1، 1997م: 176.
8- المصدر نفسه:177.
9- جماليات الاسلوب والتلقي دراسات تطبيقية، موسى ربايعة، دار جرير للنشر والتوزيع، ط2، 2011م: 13.
10- في الشعرية، كمال أبو ديب، مؤسسة اتجاهات العربية، بيروت، ط1، 1984م: 132.
11- لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م:338.
12- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، علي عشري زايد، القاهرة، ط4، 2002م: 84.
13- اللغة في الادب الحديث، الحداثة والتجريب، جاكوب كورك، دار المأمون للترجمة والنشر، 1989م: 241.

إذ يمكن ان تصبح المفارقة الاستعارية " واسطة لرؤية ما وراء الإدراك، الى داخل الاشياء، أي قوة ادراك خاصة، وجمالية جديدة"[1]، التي يمكن ان تتحقق من خلال ايجاد نوع من التقارب بين حقيقتين متباعدتين، لنتأمل قوله في قصيدة (في الرياح السيئة يعتمد القلب الأساطيل)، يقول[2]:

**أيها الناس**
**هذي سفينة حزني**
**وقد غرق النصف منها قتالاً**
**بما غرقت عائمة**
**وشراعي البهي شموخي**
**تطرفت وعيا وادرج في كل يوم**
**كأن لي في قتلهم قائمة**
**لا أخاف**
**وكيف يخاف الجمهور بطلقته كاتمة ؟**
**قدمي في الحكومات**
**في البدء والنصف والخاتمة**

تمكن الشاعر من استيعاب صورة من خلال توظيف المتقابلات للكشف عن جوهر المعاني المتضادة، ليؤسس مسافة التوتر المطلوبة في المفارقة، وليؤكد مبتغاه من خلال دلالة المعنى في كلا المتقابلين، فالتجسيد اكسب الصورة الحسية ملامح الانسان وصفاته وافعاله، فجسد الشاعر واقعه المضطهد، وقد برزت كلمة (السفينة) وما تؤديه تلك المفردات التي رافقتها من تحولات تراجيدية مثلت الشاعر، فدلت لفظة (الغرق) على التخاذل والعذاب، ومما ساعد على هذا الايحاء ايراد عبارة (طلقة كاتمة) التي رمز بها للاحتلال وعدم امتلاكه حرية القول ليحيل نهاية المشهد الى بؤرة الحدث (الحكومات) ؛ لتبرز صورة النقيضين:-

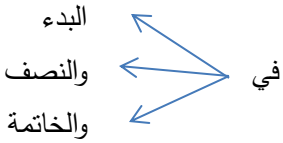


حيث تتحرر تجارب الحياة العلمية والمادية من سيطرة المكان والزمان ؛ لتتجمع وتتشكل في علاقات وصور جديدة[3].

ويقول الشاعر في قصيدته (عروس السفائن)[4]:

**لم يبقِ شيء لم يطبق على مضغة قلبي**
**فوانيس في عنق المهر... علقها الاشتهاء**
**ونجمٌ يضيءُ على عاتق الليل... زيتَ نخلُ الهموم**
**واعتقَ من عقدة الشاطئين رحيل السفينة**
**من سُفن لا تُضاءُ**
**وناحت مزامير ريحُ الفنار فأيقظت رُبانها للمستحيل**
**فذاق الرياح وأطربه الابتلاء**

1- المصدر نفسه: 241.
2- الاعمال الشعرية الكاملة: 104.
3- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، إليزابيت، درو، تر: محمد ابراهيم الشوش، مكتبة منينمة، بيروت، ط1، 1961م: 20.
4- الاعمال الشعرية الكاملة: 134.

**وسادن روحي وقد أطبق الموج**

**حتى تجرحها**

**انها وحدت نفسها بالسفينة**

فالمفارقة في اصلها تعتمد على كسر توقع المتلقي وإدهاشه، الا إن اليه تصويره تسلط الضوء على جزء ما، أو زاوية ما، للصورة، لتجعل المتلقي أكثر احساساً بها، واشد تفاعلاً معها فقد الشاعر صوره قائمة على الاستعارة التجسيدية في حديثه عن (عروس السفائن) في صورة قائمة على التضاد وكسر التوقع، فبعد إن كانت مضيئة انطفأت.

فيعتمد الشاعر في قصيدته على الثنائيات الضدية واسلوبية المفارقة عبر الجمع بين المتضادين التي تمثلت بـ:

نجم يضيء ← الليل

سفن ← لا يضاء

الضوء ← المستحيل

الطرب ← الابتلاء

وتتجلى بذلك قدرة الشاعر على الإيغال في ظواهر الاشياء، بغية الوصول الى باطنها، إذ ازدحم زمن الشاعر بكثرة المتناقضات التي يراها سبباً وجيهاً لنقد الواقع، فخيال الشاعر هو من حرك القصيدة واعطاها دفعة من الحيوية، إذ استطاع ان يمزج بين مشاعره وعاطفته بالصورة " لأن المتدبر للصورة لا يقرأ افكار الشاعر فقط وإنما انفعاله العميق أيضاً"[1].

فالشاعر استطاع ربط الافكار المجردة من خلال مخيلته ليجسدها بصورة حسية، تشد انتباه المتلقي وتمنحه متعة وتذوقاً، فضلاً عما تحمله من مقاصد دلالية كانت المبتغى الأول عند الشاعر.

وفي شاهد آخر للاستعارة، قصيدة (عبدالله الارهابي) يقول فيها:[2]

**الليل وعبدالله أقارب**

**العرق البارد والنار وحزن الايام**

**وعبدالله أقارب**

**يفهم في اللج**

**وافضل من يصنع مجذافين ولا يملك قارب**

**يدفع جفنيه يقاتل لولا الصف البطلي**

**يزيح الجدران**

**يصاهر نار الايام**

**وحبك يا عبدالله لنفسك غاضب... غاضب**

**وعلى نفسك غاضب**

**رشاشك يعقد قمته منفرداً ونعالك في قمتهم**

**اصفعهم عبدالله بأرض نعالك**

**يخرج تاريخ عقارب**

**ان تسحب سحاب السروال عليهم**

**نزلت للأرض سراويلهم**

1- الصورة الفنية في شعر ابي تمام، عبد القادر الرباعي، جامعة اليرموك، عمان، ط1، 1983م: 77.
2- الاعمال الشعرية الكاملة: 118.

**وقرار يفتح فخذيه**

**وجلسات مغلقة وعجائب**

**افتح عبدالله مسدسك الحربي**

**افتح الجلسة فيهم اعداء واقارب**

**ان تكن الطعم... فأنت السنارة قد علقت**

**لولا... لعنت لولا**

**ملعون من يتبعها**

**نملك أسلحة الأرض وتسأل كيف نحارب**

**يا عبدالله بساعات الضيق**

**تحولت الدبابات أرانب**

**قتلت أسلحة الجيران شواربها ليلاً وصباحاً**

تتمثل شعرية هذه القصيدة ليست لكونها قائمة على المفارقات الجزئية الصغيرة فحسب، بل على المفارقة الكبرى التي تلف النص بأكمله، فأول ما يبدو فيه موضوعه العام الذي تجسد في بنية العنوان أولاً، وفي بناءه الكلي ثانياً، فيرسم الشاعر صورة مأساوية قائمة على الاستعارة التشخيصية، فجعل الشاعر الليل وعبدالله أقارب، ثم سعى الى خلق مفارقة قائمة على التضاد بين (البارد والنار)، فجسد تلك الدلالة (بحزن الايام)، ليكشف حقيقة عبدالله الموسومة بـ (الارهابي)، فالموضوع حدث بين (البرودة والحرارة) في آن واحد، فالغاية من التعبير بالمفارقة هي "استثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهري المتناسق للعبارة والوصول الى المعاني الخفية"[1].

ويستمر الشاعر في ايراد التضاد في النص حين يجمع بين كلمتين (مغلقة، واضح)، لبيان حال واقع عبدالله الفدائي، وجلسات الحكام العرب في صورة ساخرة، لتنطوي الصورة على المضحك والمبكي في آن واحد فهي تدفع القارئ الى البسمة التي تختفي بمجرد ان ترتسم على الشفاه، وهذا ملمح مهم في المفارقة، يحول بينهما وبين ان تختلط بفن النكتة[2].

ثم يستمر الشاعر بتجسيد الواقع المأساوي فيقابل بين:

رشاشة عبدالله ⟵ الدبابات الحربية

و

الدبابات ⟵ العمود

فعمد الشاعر الى التقريب بين الثنائيات الضدية، لأن كل ضدين منهما يمثلان نتيجة طبيعية، لمسبب واحد يمثل النواة الدلالية التي تدور حولها الأبيات، فتخاذل الحكام جعل الفدائي يسأل كيف نحارب، وقد امتلك اسلحة الارض في الوقت الذي تحولت الدبابات الى أرانب كناية عن الجبن وهنا تكمن المفارقة الكبرى التي نجح الشاعر في ابراز ألفاظ التضاد التي مثلت هم الوطن، إذ عكست رؤية الشاعر الخاصة التي تقوم على أساس بناء الواقع في صورة جديدة مغايرة لطبيعته الأصلية، وما مثلته من ابداعات وانزياحات استعارية شكلتها المفارقة بمفردات حسية اكسبت المفاهيم المجردة، صفات إنسانية، يقول مظفر النواب في قصيدته (الرحلات القصية):[3]

**لكل نديم يؤرق**

**والقلب مل نديمه**

**كأني عشق تذوق طعم الهزيمة**

1- المفارقة في شعر المتنبي: 20.
2- دلائل الاعجاز: 52.
3- الاعمال الشعرية الكاملة: 38.

**دخلت وراء السياج**

**فآه من الذل في نفحة الياسمين**

**زكي ويعرف كل الدروب القديمة**

**وآه من العمر بين الفنادق**

**لا يستريح**

**أرحني قليلاً فاني بدهري جريح**

**لكم نضج العنب المتأخر**

**وانطرقت بعض حباته**

**كن يداً أيها الحزن**

**وأقطف**

**ولا تك ريح**

**رمتني الرياح بعيداً عن النهر**

**فاكتشفت بذرتي نهرها**

**غطت الدربج**

**والفتية المنتمين الى اللعب**

**والخطر البرتقالي في حدقات الزقاق**

**وتدخل غرفة نومي**

**وهذي رسومي.. وهذا صباي الحزين**

**وتلك مراهقتي في شبابيكها.. ولهاث السفرجل**

**والشوق قد كبر عشرين عاماً**

**وصار اشتياق**

**وما من دموع أداوي بها**

**حضرات الهموم**

**الا قميصي.. وقلبي.. وكلمة حزن**

**نساها الرفاق**

**تفتق حزن غداة افترقنا**

تمثل التجسيد في القصيدة كلها بقوله: (والقلب مل نديمه وتذوق طعم الهزيمة وفاه من الذل والدروب القديمة وبدهري جريح ويداً ايها الحزن واقطف، ورمتني الريح والخطر البرتقالي وصباي الحزين ومراهقتي في شبابيكها والشوق كبر وحضرات الهموم ودموع اداوي،...)، صنف الشاعر من خلال هذا الدمج إلى ابراز المعنويات واخراجها من اشكال محسوسة فارقت عوالمها، وخرجت عن طباعها، من خلال عكس القيم وانقلابها، لتحمل دلالات نفسية عميقة وايحاءات توضح خضوعهم واستسلامهم، لكي يكثف مقاصد اللاشعور الجمعي ويغلق من هو اللاشعور مجتمعاً أكثر توافقاً مع متطلباته[1].

والملاحظ إن للانزياح الدلالي أثره في بناء النص وتوجيهه عكس المعاني المقصودة على نحو كبير لتحدث المفارقة التي طوعت اللغة لتغدو معبرة وموحية بأفكاره وهواجسه العميقة.

1- ينظر علم البيان: بدوي طبانه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1990م: 231.

ونستطيع ان نقول إن مظفر النواب من الشعراء الذين طوعوا اشعارهم لتكون سلاحاً يستطيع من خلاله ان يحرر الشعوب من امراضه الاجتماعية.

**ثالثاً:- الكناية:**

يعد الجرجاني الكناية ايحاء الى المعنى فهي عنده "ان يريد المتكلم اثبات لمعنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكي يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به الية، ويجعله دليلاً عليه"[1].

والكناية وجهان الوجه المباشر وهو اللفظ ومعناه الصريح ووجها مختلف يدل عليه السياق ولا يصرح به[2]. وهي "ضرب من الاشارة أو تصور قائم على الظاهر"[3]، وعلى هذا ترسخ علاقة الاستبدال في الكناية، وهي العلاقة التي تسمح لها دائماً ان تكون أبلغ من التصريح ؛ لأنها تثبت المعنى وتقرر إثباته، لا عن طريق زيادة المعنى، بل عن طريق زيادة اثباته "فأثبات الصفة بإثبات دلالتها وايجابها بما هو شاهد في وجودها تأكيد وابلغ في الدعوى من ان يجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غافلاً "[4].

إن علاقة الاستبدال هذه هي التي تجعلنا نقبل بورود معنى المعنى في تعبير الكناية، وذلك اذا اعتبرنا لفظة الكناية ذاتها دالاً ذا مدلولين، فيكون أولهما معناه المباشر، ويكون ثانيهما المعنى الردف لذا المعنى الصريح، وهو المعنى المستتر خلف الحلي، وهو المعنى المتواري دائماً خلف طيات من القول، كما انها تسمح للشاعر ان يتضمن مواطن الزلل، وان يهرب من كل لوم أو مؤاخذة، وقد تطلقها عليه صراحته.

وبالتالي يبرز بشكل ما قيمة التعبير الكنائي في الصورة الشعرية، إذ نطلق الأمر بموقف أو رؤية حياتية لا يستطيع الشاعر التعبير المباشر عنها لأسباب عدة، وتتيح لغيره الفرصة في ان يخلق جدلاً بين القارئ والنص ذاته، إذ تقوم الكناية الجيدة بتحويل القارئ من سلبي الاستقبال الى ايجابي، ليدلي بدلوه في تشكيل صورة النص التي طرحتها عليه الكناية.

واذا نظرنا في موقف مظفر النواب من استخدام الكناية في تشكيل المفارقة البلاغية فنجده أولاً عبر عن الرؤية السابقة، ولكن بلغة معاصرة، وثانياً نجده قد بدأ بسيطاً بلا تعقيد أو تداخل مع وجوه بلاغية أخرى، ثم مال الى ان يجسد في تعبيره الكنائي ظلالاً لمفارقات أخرى، تجعل موقف المتلقي في تتبعها يتطلب بعض الجهد، حتى ينتهي الى كشف الدلالات الايجابية لها أو معناها، وان يكتشف أساس الاستبدال الذي تقوم عليه المفارقة الذي يكمن في استخدام الكناية حيث يكون "أكثر تمكناً على اثارة الانفعالات وقابلية على جعل موقف المتلقي منها ملائماً"[5].

وتعد قصيدة (بيان سياسي) إنموذجاً للمفارقة الكنائية إذ يقول فيها الحيدري:[6]

**ليست تسوية**

**او لا تسوية بل منظور رؤوس الاموال**

**ومنظور الفقراء**

**اعرف من يرفض حقا**

**من تاريخ الغربة والجوع بعينيه**

**واعرف امراض التخمة**

**يمكنني ان اذكر بعض الاسماء**

**لن تصبح أرض فلسطين لأجل سماسرة أرضين**

1- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، نصرت عبد الرحمن، دار كنوز المعرفة، 2012م: 83-84.
2- دلائل الاعجاز: 72.
3- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1985م: 239.
4- الاعمال الشعرية الكاملة: 300.
5- البنية التكوينية للصورة الفنية: 223.
6- الاعمال الشعرية الكاملة: 301.

**وان حمي الاستمناء**

**لا تخشوا أحداً في الحق**

**فما يلبس حق نصف رداء**

**ليس مقاتل من يدخل نجد بأسلحة فاسدة**

**أو يجبن**

**فالثورة ليست خيمة فصل للقوات**

**ولا تكية سلم للجبناء**

**واياكم أبناء الجوع قتلك وكالة غوث اخرى**

**أسلحة فاسدة أخرى**

**تقسيم اخر**

**لا تخدع ثانية بالمحور أو بالحلفاء**

**فالوطن الان على مفترق الطرقات**

**وأقصد كل الوطن العربي**

**فأما وطن واحد أو وطن أشلاء**

تنتشر في سياق القصيدة صور كنائية قائمة على المفارقة حيث يمكننا الانتقال إليها مباشرةً عبر وسيط واحد يتمثل في (هم الوطن)، فيرد ذلك من خلال التناقض والتضاد بين الألفاظ تمثلت بـ:

تسوية ⟵ لا تسوية

رؤوس الاموال ⟵ الفقراء

مما جعل الكناية قائمة على اطراف المجتمع عامة عبر المفاجأة التي أدت بدورها الى كسر توقع المتلقي باستبدال الدور بين الوطن والاحتلال، ونجد الشاعر يذكر الدال (الوطن) في السياق، وتكراره يكني عن حاضره بأنه حاضر كئيب لم يذكره، الا في موقف الظلمة والنقمة، وهنا يظهر المشهد الكئيب الاغترابي الذي يعانيه الانسان في وطنه في ظل جبروت السلطة الحاكمة وهذا ما دفعه الى ان يكني عن قصيدة الاحتلال بصور مفارقة تمثلت بـ:

(نصف رداء، واسلحة فاسدة، وابناء الجوع، ووكالة غوث، ومفترق الطرقات، ووطن اشلاء).

وكلها كنايات دلت على افتقاد الامة الهوية بانصهارها في الضياع واظهار العمالة والخيانة، مما جعله يعمق الصورة فاستعار مفارقة (تاريخ الغربة والضياع)، ليكون سبباً في كل ضياع سواء للذات أو للوطن، ان هذه المعايشة تجعله يفسر مدلولات هذه الطرائق التعبيرية تفسيراً يكمل به دائرة الابداع ويحفظ للنص دائرته الحقيقية[1].

وفي إنموذجاً للمفارقة الكنائية، يقول:[2]

**تمسكك الشرطة أن لكفك خمس أصابع**

**ولكي تتذكر وجه شهيد تحتاج موافقة**

**تحملُ خمسة أختام وطوابع**

**في قلبي شيء أجهله**

**يفهم انك باق معنا**

1- البنية التكوينية للصورة الفنية: 223.

2- الاعمال الشعرية الكاملة: 131.

**تفهم أنك باق بين مقابرها وخرائبها والمستقبل**

**تغسل وجهك بالريح الساخن**

**وترجت اطفالك في الماء الآسن**

تتحول الكناية عند الشاعر في هذه المقطوعة الى أداة قتالية لمواجهة عيوب اجتماعية، ووظيفتها النقد الاجتماعي ومحاولة اصلاحه بصيحات موجعة، لمواجهة هذه الفئات، وذلك بطريقة تهكمية ساخرة تعرض الواقع الغريب الذي يعيشه الناس، في ظل تلك الانظمة المستبدة، وقد استخدم الشاعر الألفاظ التي توحي بالتضاد والمفارقة، فشكلت التقابل السطحي بين وحداتها فتمثلت بـ:

خمس اصابع ← خمسة اختام وطوابع

أجهله ← يفهم

باق ← المقابر

الريح الساخن ← الماء الآسن

فنجد في النص تراكماً من الكنايات التي ترسم كوناً مأساوياً فـ:

خمسة اختام وطوابع ← كناية عن السلطة

والريح الساخن ← كناية عن اللهيب

والماء الراسن ← كناية عن الفساد

فحملت الكنايات عمق الجهد المبذول والتعب الذي يدب في أوصاله، وهذا النوع من التعبير يستلزم من المتلقي ان يكون يقظاً واعياً يعيش النص الابداعي موقفاً وظروفاً، كما يقف على علاقة صاحب النص بالمخاطب الذي يحاوره ان هذه المعايشة تجعله يفسر مدلولات هذه الطرائق التعبيرية تفسيراً يكمل دائرة الابداع، ويحفظ للنص دائرته الحقيقية[1].

وقد امثلت ذلك نجد مظفر النواب يعرض بأولئك الرجال تصريحاً في قصيدته (عروس السفائن) قائلاً:[2]

**بنيت بيوتاً من الماء**

**هدمها الجذفُ**

**كما يتم البناء**

**ومنذ نهارين في وحدة المتناقض**

**هذي السفينة يدفعها ويدافعها الابتداء**

**أعللها بعليل الرياح**

**ويغري بها أنها من طبيعتها تستمد**

**سليل السفائن**

**سليل النهايات**

تنتشر في سياق النص صور كنائية تمثلت في افتقاد الأمة لهويتها بإنصهارها في الضياع في (بنيت بيوتاً)، وكنى الشاعر أيضاً عن ارتحاله الدائم بـ (هذي السفينة يدفعها ويدافعها الابتداء) ليدل على قسرية الرحيل عن الوطن، فاستطاع الشاعر ان يرسم مفارقته من خلال تناقض الواقع الذي يعيشه الشاعر في وصف واقعه من خلال التضاد الذي وقع بين الألفاظ في قوله:

بنيت ← هدمها

يدفعها ← يدافعها

1- البنية التكوينية للصورة الفنية: 128.
2- الاعمال الشعرية الكاملة: 136.

فالشاعر كعادته يعمد الى كسر توقع القارئ من خلال سرد الألفاظ المتضادة، ليكشف ان الواقع على غير ما يتوقع الانسان فهو قائم على التناقضات، ليشكل الفعل الواعي الذي يسقى الى خلق صورة جديدة تكسب طابعاً جديداً ؛ لأجل خلق أهداف سياسية لم يكن من الممكن ان يلوح بها لولا هذا لتلاعب الفطن الذي ينسجم مع طبيعة التجربة الشعرية الهادفة الى التمرد، الامر الذي يجعلنا نعد الكناية صورة مناسبة للتعبير عن المعنى فهي أكثر الوسائل تمكناً في اثارة انفعالات الشاعر وقابليتها على جعل موقف المتلقي ملائماً، وقد استمر الشاعر في كنايته التي برزت من خلال الانزياح البلاغي، إذ يقول في قصيدته (دوامة النوارس الحزين)[1]:

**الأزرق الجميل قادم**
**ترف في أعلامه الصوافن**
**يا سيد المحيط لفني بأذرع الهدير**
**مثلما تلفني النساء**
**خلني في لحظة القرار واللؤلؤ والفيروز**
**في الصمت الثقيل كالرصاصج**
**واندلع في الزبد الداكن**
**وجه الله في " أمواجك الزرقاء واغسل الحياة**
**ممن يضعون نورسا في قفص الدواجن**
**امس ومن نافذتي**
**والعمر في اغطية الصوف**
**رأيت النورس الحزين عابرا فضاءنا الميت**
**في شوق الى فضائه البعيد**
**كان برد العمر في مفاصلي**
**نشرت ساعدي القيت غطائي**
**وانتضيت – مثل من يريد لن يطير – قامتي**
**لم استطع**
**دخلت في الدوامة..**
**لم استطع**
**لكن أتى الفضاء ما بين عيوني ساجدا**
**لأنني حاولت ان اصير نورسا**
**واجتزت آخر النفير والمآذن**

إن السياق الشعري هنا عبارة عن تركيب كنائي يموج بأسباب الغربة النفسية حيث الابتعاد عن الوطن، فهذا في الحقيقة هو التجسيم الكنائي الذي لم يكن سوى صدى لمعاناة الشاعر وكل مفردة في القصيدة تتلبس بوجدان الشاعر وتصور إحساسه بالغربة النفسية والفكرية، فتقوم الاحداث بمفاجأة المتلقي وإثارة الدهشة واحداث المفارقة، وتكمن المفاجأة في براعة الانزياح الذي يحول الحدث الى مركز فتنة وجاذبية المتلقي، فالسياق بني على المحور الكنائي الذي قام على الضدية، ليقدم لنا صور مثلت الواقع مستعيناً بصور من البيئة الساخرة المبكية في آن واحد لتكون مشابهة للواقع لنحمل صراع الامكنة مع الإنسان.

1-الاعمال الشعرية الكاملة: 103.

ومما تجدر الاشارة إليه ان المفارقة البلاغية عند مظفر النواب شكلت من خلال صور بيانية تمثلت بـ (التشبيه والاستعارة والكناية) إذ جعلها أداة فكرية تكشف من خلالها الحقيقة ويستأثر الخيال فقامت على التنافر وكسر توقع القارئ منطلقاً من الواقع الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه، فعكس أساليب القهر التي تمثلت في الأساس بالسلطة فعمد الشاعر الى التلويح بها مما زاد من بلاغة النص الأدبي.

فبنية المفارقة هي نتاج لتفاعل شخصية الشاعر مع طبيعة الموضوع الشعري، ويمكن ان تكون موضوعات الشاعر نتاجاً لتفاعل شخصية الشاعر مع بنية النص الشعري ؛ إذ يكون البناء الشعري جسراً بين الشخصية والموضوع.

وكشف التلاعب المنطقي في نص مظفر النواب عن مفارقة ساخرة من خلال مواجهة المتلقي بعكس ما يتوقع تمثل بقلب الموازين المتعارف عليها ورفض الواقع أو تجاهله، فنص الشاعر يقول شيئاً ويريد عكسه بمعنى آخر عبر عن سخطه وتمرده بطريقة غير مباشرة تمثلت بـ الغموض.

وأخيراً شكلت المفارقة البلاغية في نفسه استراتيجية شعرية، ركز فيها على الانسان جاعلاً منه محوراً أساسياً يبني من خلاله تناقضات العالم مشكلاً بذلك مفارقة انسانية كبرى أذن المفارقة عنده طريق لرؤية الاشياء بمعنى أصبح وسيلة لفهم دواخل الاشياء ورؤية ما وراء الادراك.